التناص القرآني في دعاءِ الإمامِ الحسين عليه السلام يومَ عرفة

أعظم محمودي

أستاذ مساعد ـ قسم تعليم اللغة العربية ـ جامعة فرهنگيان ـ تهران ـ إيران

a.mahmoodi@cfu.ac.ir

Quranic intertextuality in the prayer of Imam AL-Hussain (PBUH) on the day of Arafah

D.r Azam Mahmoudy

Assistant Professor , Department of Arabic Language Education ,
Farhangian University , Tehran , Iran

الملخص:-

تُعدّ الدراسات التناصية من أهمّ المواضيع في مجال النقد الأدبي الحديث و إفرازاتها الّتي تطوّرت بترقية الأفكار في المجتمعات وهي تذكرنا بتفاعل النصوص وترابطها معاً. فظهر مصطلح التناص لأول مرّة على يد الباحثة البلغارية جوليا كريستيفا في عدّة أبحاث كتبت بين (١٩٦٦-١٩٦٧) وهي متأثرة بآراء دي سوسير وميخائيل باختين النقدية. فإنّ كثرة استخدام هذا المصطلح وخاصّة ما يسمّي منه بالتناصّ القرآني مع حضوره الواسع في الأدب العربي تدلّ على أهميته ولزوم دراسته. ففي هذا البحث حاولنا دراسة اثر القرآن الكريم كمصدر الهام قويّ، في دعاء الامام الحسين عليه السلام يوم عرفة لفظاً ومعني، بأسلوب وصفي-تحليليّ. فبينت نتائج الدراسة أنّ هناك تفاعلات وروابط عميقة ماورائية بينهما. بحيث استخدم الامام عليه السلام المفردات والمصطلحات والمفاهيم القرآنية على نطاق واسع استخداماً واعياً، وقدحافظ على الدّلالة الأصلية للنّصوص القرآنية الّتي استحضرها. كأنّه امتزج فكره ولسانه بالقرآن الكريم؛ وأنّ هذا التفاعل يكون في الغالب على شكل النفي المتوازي والنفي الجزئي، وفي مواضع قليلة على شكل النفي الكليّ.

الكلمات المفتاحية: التناص القرآني، التفاعلات الماورائية، دعاء عرفة، الامام الحسين عليه السلام

Abstract:-

Intertextuality studies are among the most important topics in the field of modern literary criticism that have evolved by improving ideas in societies, and they remind us of the interaction of texts and their relevance together.The term intertextuality appeared for the first time by researcher Julia Kristeva, in several papers written between (1966-1967 AD) and she is influenced by the opinions of de Saussure and Michael Bakhtin. The frequent use of this term, especially the so-called Qur'anic intertextuality in Arabic literature, indicates its importance and the necessity of its study. In this research, we tried to study the effect of the Holy Qur'an as a powerful inspiration, in the prayer of Imam AL-Hussain (PBUH) on the day of Arafah in the particle and meaning, in a descriptive-analytical manner. The results of the study showed that there are deep metaphysical interactions and bonds between them, so that Imam (PBUH) used Qur'anic vocabulary, terminology and concepts widely consciously, and he preserved the original connotation of the Qur'anic texts he conjured up. As if he mixed his thoughts and tongue with the Noble Qur'an; and that this reaction is mostly in the form of parallel and partial negation, and in few instances in the form of total negation.

Key words: Quranic intertextuality, metaphysical interactions, Arafah prayer, Imam Al - Hussain (PBUH) .

المقدمة:ـ

لقد امتزجت النصوص المختلفة منذ القدم ببعضها البعض وكانت في تفاعل حي من حيث اللغة والوزن والدلالة. واليوم تعدّ الدراسات التناصية من أهم المواجهات المرتبطة بعلم السيميائية (نامور مطلق،١٣٩٠: ٣٠٨) التي تبحث عن تفاعل وترابط النصوص. والسيميائية من العلوم التي يمكن اليوم إلى جانب فلسفة اللغة وعلم اللغة وما إلى ذلك أن تفتح مساراً جديداً في الدراسات الدينية، لأنّها توفّر للقارئ أداة قوية لدراسة العلامات اللغوية.

فبإجماع أغلب النقاد أنّ الدارسة البلغارية جوليا كريستيفا[١](١٩٤١) هي أول من توصّلت إلى ابتكار صياغة دقيقة ومناسبة لوصف مختلف التفاعلات النصّية وتسميته بالتناص[٢]. فهي تأثرت بأعمال دي سوسير[٣](١٨٥٧-١٩١٣)، ثمّ الدّراسات البنيوية، وأخيراً بفكرة الحوارية أو الصوت المتعدد التي أشار إليها ميخائل باختين[٤].(١٩٧٥-١٨٩٥).

ونظرية التناصّ من إفرازات النقد الأدبي الجديد التي ظهرت في الغرب ومع انفتاح النقد العربي على الثقافة الغربية وفدت إلى البلاد العربية وهي تحاول تقصّي علائق النصّ الأدبي بالموروث الثقافي والدّيني وتَدرُس التفاعل والتداخل بين النصوص لكشف حقائق المتجربة الإبداعية. ويقترح بعض علماء عرب مختلف المرادفات لهذا المفهوم، منها: التناصية، النصوصية، تداخل النصوص، النصوص المتداخلة والنص الغايب.(عطاء، ٢٠٠٧:١١).

فيقال: ((التناص هو التقاطع والتعديل المتبادل بين وحدات عائدة إلى نصوص مختلفة، فكل نص يتشكل من فسيفساء من الاستشهادات، هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى)). (الزغبي،١٩٩٥: ١٢)

فازدياد استعمال هذه الظّاهرة في الأدب العربي، خاصّة بما يسمّي منه بالتناص القرآني، يدلّ دلالة واضحة على أهميتها ولزوم دراستها. فتهدف هذه الدراسة تبيين اثر القرآن الكريم كمصدر الهام قويّ في دعاء عرفة للامام الحسين عليه السلام لفظاً ومعني، بأسلوب وصفي- تحليلي.

أسئلة البحث:

تسعي هذه الدّراسة أن تجيب عن هذه الأسئلة:

ما هو التناص القرآني؟

ما هي أهداف التناص القرآني؟

كيف نستدلّ على التناص القرآني في دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة؟

ما هي أنواع التناص في دعاء عرفة؟

خلفية البحث:-

لقد بدأ تكوين مصطلح التناص وتفعيله في الممارسة النقدية عند الدارسة كريستيفا منذ سنة ١٩٦٦ من خلال مجموعة من الأبحاث التي نشرتها على مدار عامين في مجلّتي ((طيل كيل[٥])) و((كريتيك[٦])))، ثمّ أعادت نشرها في كتابيها ((سيميوتيك[٧])) (١٩٦٩) و((نصّ الرواية)) (١٩٧٠). وفي عام (١٩٦٨) كتب رولان بارت مقالته (موت المؤلف) مستخدماً فكرة التناص بوصفها منتجة للنصّ وصرّح بموت المؤلف وأعلن أنّ الكتابة وحدها هي التي تنتج الكتابة. (فيصل الأحمد، ٢٠٠٣: ١٢٤) وعرّف مارك أنجينو التناصّ بأنه: ((كل نصّ يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى وبذلك يصبح نصّاً في نصٍّ تناصّاً)) (أنجينو، ترجمة أحمد المديني،١٨:١٩٨٧) وقد جاء باحثون بعد كريستيفا منهم: ريفاتير، تودروف وجيرار جينيت وغيرهم الّذين ساروا على هديها وأكملوا هذه النظرية.

وأمّا عند العرب في العصر المعاصر، فشهد الأدب تغييرات وتطورات، خاصّة في مجال النقد، تمشياً مع التطورات الغربية الحديثة. فتعدّدت الدراسات التي تناولت التناص بالدرس والتحليل والتطبيق. (ينظر: رمضان، ١٤٣٥: ١٦٩-١٦٨) فيعتقد البعض أن للتناصّ جذور في التراث العربي، كما يقول ابن رشيق: ((إن بناء ومصدر أيّ خطاب هو الخطاب الماضي، حتّى لو لم يكن من السّهل اكتشاف العلاقات بين النصوص. على أي حال إن الكلام يأتي من الكلام، رغم أن طريقه مخفية وعلاقته بعيدة)).(ابن رشيق، ١٩٧٢:٨٣)

ويعتقد البعض أنّ لمصطلحاتٍ مثل الاقتباس، التضمين، التلميح، المناقضات، السرقات و...في التراث العربي القديم مفاهيم قريبة من مصطلح التناص. (عزام،٢٠٠١: ٤٩) فمنهم عبد الملك مرتاض إذ إنه يكتب مقالة يقابل فيها بين التناص والسّرقات الأدبية، وأيضاً محمد

عبد المطلب ينشر دراسة بعنوان ((التناص عند عبدالقاهر الجرجاني)) ويقارن فيها بين التناص ومصطلحات كالاقتباس والتضمين والسرقات. (ينظر: رمضان، ١٤٣٥: ١٧٠)

فأوّل من نقَل مصطلح التّناص إلى اللغة العربية، الشّاعر النّاقد محمّد بنيس في كتابه: ((ظاهرة الشّعر المعاصر في المغرب دراسة بنيوية تكوينية))، عام ١٩٧٩ وقد ترجمه وقتها بـ ((النصّ الغائب))؛ ثم استعمل مصطلح ((هجرة النص))، وبعده استعمل مصطلح ((التّداخل النصّي))، لكن تعريف بنيس لا يخرج عن تعريف كريستيفا (كل نصّ هو امتصاص و تحويل لوفرة من النصوص الأخرى) حتى تعريفه للنص هو كلام كريستيفا أيضاً. (رمضان، ١٤٣٥: ١٥٨)

وبعد محمد بنيس نلاحظ أن الدكتور محمد مفتاح سنة ١٩٨٥ يؤلف كتاباً يستعمل في عنوانه لفظة التناص ويسمّيه ((تحليل الخطاب الشعري واستراتيجية التناص)) وفيه يعرّف هذا المصطلح بأنه((تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدَث بكيفيات مختلفة)) (١٩٩٢: ١٢١)، ثمّ نواجه بعده الدكتور صبري حافظ في بحثه: ((التناص وإشاريات العمل الأدبي)) (١٩٨٤: ٢٣) يقوم ببيان ميزات التناصّ.

ولكن أنّ تعريفات النقاد العرب للتناص كما يقول الدكتور رمضان هي تكرار تعريفات الغربيين وترجمتها وقليل من النقاد العرب أضافوا إلى هذا المنهج تعريفاً خاصّاً أو ذكروا فارقة تتميز تعاريفهم بها.(١٤٣٥: ١٥٩) وبينهم قد كان الدكتور محمد مفتاح من أكثر الدارسين عملاً على تطوير مفهوم التناص في كتبه وكذلك سعيد يقطين وبشير القمري. (نفس المصدر: ٢١٢)

جدير بالذكر أن بين المقالات المؤَلفة في موضوع التناص، يمكن الاشارة إلى دراسات سامية حول التناص بين الآثار الأدبية والتراث الديني خاصةً القرآن الكريم وأيضاً بين القرآن الكريم ونهج البلاغة، و الصحيفة السجادية؛ كما أنّه كتب مسبوق (١٣٩٢) مقالة حول العلائق التناصية بين القرآن الكريم وخُطب نهج البلاغة، أو كتب مستوفي نيا ومحققيان (١٣٩٥) مقالة حول التناص القرآني في الصحيفة السجادية؛ ولكن لم يشاهَد أي أثر بزعمنا حول التناص القرآني في دعاء عرفة، فتهدف هذه الدراسة استكشاف أنواع العلاقات القرآنية وتبيينها في هذا الدعاء بناءً على نظرية التناص، لإثبات التواصل العميق وعدم

الانفكاك بين القرآن وعترة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وتكافؤهما من حيث اللفظ و المعني.

الإطار النظري

التناص لغةً واصطلاحاً

التناص من مادة (ن ص ص) والنصّ في اللغة، معناه الرفع والظهور، والبروز وغاية الشيء (الزمخشري، ١٩٨٢؛ الزّبيدي، ١٩٧٩وابن منظور، ١٩٨٨: مادة ن ص ص) وقد وردت كلمة التناص أيضاً في المراجع القديمة بمعنى الاتصال، وبمعنى الجمع والتراكم، وبمعنى الاستقصاء، وبمعنى التحريك والخلخلة وبمعنى الانقباض والازدحام، (وهو بهذا المعني يقترب من التناص الاصطلاحي). فالنص إذن اظهار وافتضاح، وكشف للمستور؛ انه انتقال من حالة الإضمار، والكتمان إلى حالة البوح والتصريح، فالنص قبل الكتابة أو الإنشاد يكون سرّاً لا يعرفه الّا النّاصّ، لكن بمجرد أن يخرج النص إلى الوجود ويسمّي (قصة، أو شعراً، أو رواية...) يفتقد صاحبه صفة التفرد بمعرفة السرّ. والنصّ إذ ينفصل عن صاحبه يصبح في غاية الفضيحة والظهور والشهرة، ويتخذ له موقعا (منصة) ما بين النصوص الأخرى الّتي من جنسه، ليري، أو ليسمع أو يتلمس بأصابع اليد. (ينظر: رمضان،١٥٤:١٤٣٥- ١٥٢)

وأمّا دلالة ((نصّ)) في الثقافة الغربية تحيل إلى النسج وتحمل الدلالة نفسها في الاصل اللاتيني وكلمة نسيج تعود في منشأها إلى الميدان الصناعي المادّي. (پرويني وعموري،١٤٣١: ١٤٨) وكذلك يتألّف النصّ من كلمات وحروف تمّ نسجها بالكتابة نسجاً يدلّ على الانتظام والانسجام والتّشابك، والنصّ لا يكون نسيجاً الّا بالكتابة، فالأصوات والكلمات تظلّ مفتقرة لمعني النسج حتى تُكتب. (سلطان،٣٨:٢٠٠٤) ومصطلح (Intertextuality) منحوت من كلمتين Inter تعني ((داخل)) و textual وتعني ((نصّي))، فيصبح المعني التداخل النصّي أو التناصّ.

أمّا في الاصطلاح فقد تعدّدت التعاريف لهذه الظاهرة على أساس اختلاف المفاهيم والمدارس النقدية. ولكن هناك نقطة اشتراك بين المفاهيم المتعددة التي ذُكرت لتعريف التناص، ألا وهي تداخل النصوص فيما بينها، فجوليا كريستيفا تعرّف التّناص بأنّه ((هو

التقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى وكل نص هو امتصاص لنص آخر أو تحويل عنه)) (سومفيل، ١٩٩٦، ترجمة وائل بركات؛ الغذامي،١٩٨٥: ١٣) أو ((لوحة فسيفسائية من الاقتباسات)) (موسي، ٢٠٠٨: ١٠٢) ويقول لوران جيني[٨] إن التناص((هو عملية تحويل وتمثيل عدة نصوص يقوم بها نصّ مركزي يحتفظ بزيادة المعني)) (صمادي،٢٠٠٣-٢٠٠٢: ١٢) ومن الطبع أن اللوحة الفسيفسائية أو عملية التحويل والتمثيل لا تعني إلّا داخل نصّ مع نصّ آخر أو نصّ جديد مع نصّ قديم أو استحضار علاقة الحاضر بالغائب أو استجماع الاوصاف الفنية و الدقائق اللطيفة في النص الحاضر بالإحالة على مصادرها الأولى. (عباسي، ٢٠١٤: المقدمة)

والدقّة إلى هذه التعريفات تجعلنا إلى قبول هذا الأمر أن التناص عبارة عن قراءة لنصوص سابقة وتأويل لهذه النصوص، وإعادتها بأساليب عديدة إلى نصّ جديد بحيث أن يتضمن هذا النص الجديد زيادة في المعني عن المفاهيم السابقة التي تُعتبر نواة له. (نفس المصدر:١٥٦)

انواع التناص وأركانه

قد دخل التناص في كل مجالات العلوم وتشعب بشعباتها، فمنها التناص التاريخي والتناص الاجتماعي والتناص الأدبي والتناص القرآني وغيرها. ويندرج كلٌّ منها في العملية النقدية في نوعين أساسيين وإن كان بتسميات مختلفة. فهناك من يقسّم التناص إلى الداخلي والخارجي (مفتاح، ١٩٩٢:١٢٤) ومن يذكر التناص الشكلي والمضموني (فرج، ٢٠٠٣: ١٩٩) ومن حدّد انواع التناص إلى التناص المباشر والتناص غير المباشر.

فالتناص المباشر(الخارجي أو الشكلي) هو ((اجتزاء قطعة من النص أو النصوص السابقة و وضعها في النص الجديد بعد توطئة لها مناسبة تجعلها تتلاءم مع الموقف الاتصالي الجديد وموضوع النص)) (شبل محمد،٢٠٠٧: ٧٩) وهذا النوع يرجع إلى الشكل وهمّه تحكيم السّبك وتجميل النصّ. وأما التناص غير المباشر (الداخلي أو المضموني) ((فهو الذي يستنبط من النصّ استنباطاً، ويرجع إلى تناص الأفكار أو المقروء الثقافي أو الذاكرة التاريخية التي تستحضر تناصها بروحها أو بمعناها لا بحرفيتها أو لغتها وتفهم من تلميحات النصّ وايماءاته وشفراته وترميزاته)) وهذا النوع يرجع إلى المضمون (نفس المصدر:٨٠) ويتّجه إلى

كشف ماورائية النصّ المتناصّ فيه.

فيمكن القول إنّ التناص المضموني هو استلهام مضمون نصّ سابق أو مغزاة أو فكرته واعادته إلى صياغة جديدة في نص جديد قد يكون من دون ذكر ألفاظ من النص السابق بل بشكل امتصاص وتشرّب الفكرة أو المغزي (حلبي، ٢٠٠٧: ٦٧) وهو من أصعب انواع التناص وأعمقها حيث تظهر من خلاله مقدرة الشاعر والأديب في استخدام واشتقاق المفردات لصنع لغة حديثة بدل اللغة القديمة مع خلق مضمون فكريّ جديد. فعلي أساس هذين القسمين، تقوم الدراسات الأدبية حول التناص ولاسيما التناص القرآني، في النقد الأدبي الجديد.

واما مصادر التناص هي: ١. المصادر الضرورية: ويكون فيها التأثر طبيعياً وتلقائياً وهو ما يسمّي بالذاكرة أو الموروث العام كتقيد الشاعر غير الواعي بالضرورة بحدود ثقافة توافرت له في إعداده وتعليمه. ٢. المصادر الداخلية: وتشير إلى التناص الواقع في نتاج الشاعر نفسه وهو الإتيان بجزء من نص سابق له في نص جديد. ٣. المصادر الطوعية: وهي اختيارية وهي ما يطلبه الكاتب من نصوص متزامنة أو سابقة عليه ويستخدمها الكاتب للدلالة على ذاتها. (شبل محمد، ٢٠٠٧: ٧٦) ولكن يمكن القول إنّ كل ما يستلهمه الإنسان وما خطر بباله وكان في انتاج الغير يدرج في مضمار التناص وإن سُمّي بتوارد الخواطر ويغلب الظنّ أنّ الترسيب والإزاحة هما من المصادر الضرورية والداخلية للتناص. (پروبني وعموري، ١٤٣١:١٥٢)

فيحتوي التناص على ثلاثة مكونات و أركان رئيسية: النصّ المخفي أو الغائب، والنصّ الحاضر، والعلاقات التناصية. فيُطلق على نقل الكلمة أو المعنى من النص الغائب إلى النص الحاضر، العلاقاتُ التناصية و هي أهمّ ركن في تفسير النصوص. ثمّ تتم إعادة إنشاء النص الغائب أو وجوده في النص الحاضر بثلاث طرق، يشار إليها باسم القواعد الثلاثية التناصية و هي: قاعدة النفي الجزئي (الاجترار)، قاعدة النفي المتوازي (الامتصاص)، وقاعدة النفي الكلّي (الحوار).

النفي الجزئي أو الإجترار: في هذا النوع، يأتي المؤلف بجزءٍ من النص الغائب في عمله، والنص الحاضر هو امتدادٌ للنص الغائب، حيث نرى مؤلفًا أقل ابتكاراً.(عزام، ٢٠٠٥: ١١٦)

ويمكن أن يكون هذا الجزء، جملة أو عبارة أو كلمة أو ما شابه، ويمكن أن يكون مخالفاً عن النصّ الغائب أو موافقاً له.

النفي المتوازي أو الإمتصاص: في هذا النوع، لا يتغير معنى النصّ الغائب بشكل أساسي في النص الحاضر، ولكن يمكن للأديب أن يضيف معني جديداً إلى نصّه و يكون معنى النصّين متّفقين. في النفي المتوازي، يقبل المؤلف النص الغائب ويطبقه بطريقة لا يتغير جوهره.(الموسي،٢٠٠٠: ٥٥).

النفي الكلي أو الحوار: في هذا النوع يأتي الشاعر أو الكاتب ببعض من النص الغائب في نصه الجديد، وإضافة إلى إنكار النص الغائب، يتمّ تحويل وتبديل معنى النص الغائب أيضًا. إن النفي الكلي هو أعلى مستوى من العلاقة بين النصوص التي يستخدمها مؤلف النص الغائب في نصه بطريقة تختلف معناها تمامًا.(وعد الله، ٢٠٠٥: ٣٧).

الأهداف في التناص القرآني

أما عن أهداف التناص، فكلّ نظرية لا تأتي دون أهداف. وإن التناص ليس غير إدراج التراث في النص و إدراج النص في التراث وليس غير رجع لنصوص تراثية أخرى، يتجاوب معها، ويحاورها ويعيد استنطاقها، خلال الوعي التراثي في نسيج جديد (ينظر: عبد الغني، ١٩٩٧: ٢٧) وهو ينتج التأثير والتأثر. لأنّ النصّ يستمدّ قوّته وسلطته من خلال تأثيره في المتلقين له، ويتأتي ذلك من خلال ارتباط النص بالموروث الأدبي والثقافي والنفسي لأولئك المتلقين والمتحقق بفعل التفاعل، والتداخل بين النصوص السابقة واللاحقة. (المولي الموسوي، ٢٠٠٦:١١).

وإن من بين معظم المصادرالدينية، يتميز القرآن الكريم بحضور واسع وقوي في الادب العربي. وحفلت انواع نتاجات الأدباء بوجود الأثر القرآني بصوَره ومفرداته أو تراكيبه أو معانيه. وذلك لما تتميز به اللغة القرآنية من إشعاع وتجدد، ولما فيها من طاقات إبداعية، تصل بين الاديب والمتلقي، بحيث تستطيع التأثير في المتلقي بشكل مباشر. يضاف إلى ذلك قابليتها المستمرة لإعادة التشكيل والصياغة من جديد. (حلبي،٢٠٠٧: ٢٦٦) فيعدّ النصّ القرآني مصدراً غنياً للتناص وللإلهام الأدبي على مستوي الدّلالة و الرؤية ودخل في الأعمال الأدبية واستخدمه الأدباء والشعراء في أعمالهم، كما دخل كافّةَ العلوم، خاصة العلوم الإنسانية.

وبما أنّ التناصّ يهتمّ بالعلاقة التفسيرية والدلالية، فالمقصود من التناص القرآني أيضًا الإهتمام بالعلاقات السيميائية والدلالية التي تكون بين القرآن والنصوص الأخرى. (قائمي نيا، ١٣٨٩: ٤٤٤).

فلابدّ من ملاحظة مهمّة وهي أنّ ظاهرة التناص حول القرآن الكريم و وجود المماثلات في النصوص القرآنية وسائر النصوص خاصّة النصوص المقدسة لا تعني حتماً أي تأثرٍ للقرآن من تلك النصوص بل إنها قد تعني الإكمال و الإتمام اللذين من الحِكم الإلهية ودليلاً لإعجاز القرآن، فإنّه كتاب مكنون في لوح محفوظ ولا تدخل آياته تحت باب التأثير والتأثر كما جاء في تعريف التناصّ.

فمفهوم التناص القرآني عندنا يعني اتخاذ آية من القرآن أو بعض آية وحتّي كلمة منه، أو استخدام مفهومٍ من الآيات، والاستشهاد به حتى يعطَي النص الأدبي رونقاً وبهاءً متزايدين.

فمن أهداف التناص القرآني هو كشف وإظهار التراث الاسلامي الموجود في النصوص النثرية والشعرية، ومن ثمّ لا يعَدّ استرجاعاً للمخزون الثقافي فحسب أو استعادة للذاكرة الثقافية؛ أو تداخلاً للنصوص في العمل الأدبي دون فلسفة أو هدف، وإنّما هو عملية مقصودة لأهداف، أهمها تحقيق العملية الأدبية للتواصل الناجح بين المبدع و القارئ.... (شبل محمد، ٢٠٠٧: ٧٧)

فالتناص بالقرآن له هدف أدبي جمالي حيث أنّ أسلوب القرآن هو الاسلوب الأمثل للغة العربية، واتخاذ بعض صوره وأساليبه نموذجاً يضاف للصياغة الأدبية؛ مما يكسبها رونقاً وجمالاً. هذا فضلاً عن الهدف الدّيني يجعل التّواصل بين القارئ والكاتب تواصلاً خلاقاً لما يجمع بينهما من رصيد زاخر بتقديس القرآن الكريم والتأثر بمعانيه العظيمة. (الغباري،١٨١:٢٠٠٣)

دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة:

الدعاء لغوياً هو الصيحة والاستدعاء والنداء والإستغاثة. (ابن منظور،١٩٨٨: مادّة دعا) وعندما يكون الدعاء لله تعالى فيعني حينئذ الرّغبة إليه وتعظيمه وتنزيهه وشكره والثناء

عليه والطلب منه عزّ وجلّ (الزبيدي:١٩٧٩: مادّة دعا). قال الله عزّ وجلّ: (و إذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب أجيب دعوة الدّاع إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون.) (البقرة/١٨٦) والدعاء عند رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام سلاح المؤمن. رُوِي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((ألا أدلّكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدرُّ أرزاقكم؟ قالوا: بلي، قال: تدعون ربّكم بالليل والنّهار فإنّ سلاح المؤمن الدّعاء.)) (الكليني، ١٣٨٧: ٤٦٨/٢).

ولكن عند المعصومين عليهم السلام الدّعاء هو الاسلوب الخاصّ في الثّناء على الله والتضرّع والابتهال إليه. ودعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة امتاز بخصوصيات عن غيره من الأدعية من حيث الزّمان والمكان والدّاعي والمضمون؛ منها: فقد دعا الإمام عليه السلام بهذا الدعاء في اليوم التاسعّ من شهر ذي الحجة الذي يكون من أيام الحجّ، ويعدّ هذا الشّهر من أشهر معلومات ومن الأشهر الحرُم على تعبير القرآن. وأيضاً دعا به الإمام عليه السلام في موضع عرفات وهو من أكثر المواضع تقدّساً. وهذا الدعاء جري على لسان إمامٍ أنّه كان صحابيّ رسول الله صلى الله عليه وآله على أساس المعني الواسع لهذا المصطلح وأنه كان آخر ابن بنت النبي المكرّم صلى الله عليه وآله بعد شهادة أخيه الامام الحسن عليه السلام، وكان خامس وآخر من بقي حياً من أصحاب الكساء ممّن نزل بحقّه آية التطهير، وآخر المشمولين بسورة الانسان في الآية: (ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً... .) (الانسان/ ٨-١٢) وهذا كلّه إضافةً على الميزات الّتي جُمعت في شخصية الإمام عليه السلام من مكارم الأخلاق والعبادة والزّهد والتّقوي، جعله ممتازاً ومحبوباً في قلوب المؤمنين والأحرار. (ينظر: فرج، ١٤٣٣: ١٨-١١)

يشير سماحة الإمام الخامنئي إلى سموّ شخصية الإمام عليه السلام وابعادها ويقول: ((لشخصية الإمام الحسين عليه السلام الباهرة، بعدان آخران: بعد الجهاد والشهادة والإعصار الذي أحدثه على مدى التاريخ... أما البعد الآخر فهو بعد معنوي وعرفاني. ويتجلّى هذا البعد في دعاء عرفة بشكل واضح وعجيب. وقلّما يوجد لدينا دعاء يحمل هذه اللوعة والحرقة والانسياق المنتظم في التوسُّل إلى اللّه والابتهال إليه بالفناء فيه. إنه حقاً دعاء عظيم. (الإمام الخامنئي:١٣٧٦/٩/١٣)

فهذا الدعاء يشتمل على عبارات دقيقة ومفاهيم عالية. إنّه يدعو الانسان إلى التفكر

حول نعم الله تعالى التي أعطاها عبده في كلّ مراحل حياته وهي تبدأ من قبل تكوينه ثمّ يمضي إلى مرحلة الحضور في الأصلاب والأرحام، وبعده يخرج إلى هذا العالم ويجرّب الحياة إلى كبره. ثمّ يعترف الإمام عليه السلام إلى عجزه عن شكر هذه النعم بكلّ ذرّات وجوده. وإذا يقرأ الدّاعي هذا الدّعاء يقرّ بهذا العجز من صميم قلبه إضافة إلى لسانه.

يتكوّن الدعاء من فصلين: الفصل الأول يتعلّق إلى أمور عامّه تدرَك عند عموم الناس وكلّما يتقدّم، يتحلّق حتى يصل إلى الفصل الثاني الذي يتجاوز فهم الخواص وهو يتعلق إلى خواص الخواص ويبدأ من عبارة ((الهي أنا الفقير في غناي، فكيف لا اكون فقيراً في فقري...)) إلى آخر الدعاء. وفي نسبة هذا الفصل إلى الإمام عليه السلام اختلاف ومصدر هذا الاختلاف عدم وجود هذا الفصل في بعض النسخ القديمة أو عدم تناسب وتلاؤمه سياق أدعية السادة المعصومين عليهم السلام وكثرة المصطلحات المتداولة عند الصوفية،كما يشير إليه العلامة مجلسي. (علامه مجلسي، ١٤٠٤: ٩٥/ ٢٢٨)

تمّ اخوان مقدم وحبيب بور (١٣٩٦ش) تحديد مرتكزات الدعاء، مع تحليل المحتوى وتحديد العبارات والكلمات الرئيسية وكذلك تجزئة الدعاء في العناوين الأصلية والفرعية. كانت نتيجة التقييم أنّ محور التوحيد الربوبي بتردد ٠/٥٥، محور الأنثروبولوجيا بتردد ٠/٣٦، محور معرفة الإمام بتردد ٠/٠٦، محور الأنطولوجيا ومحور القيامة بتردد واحد بالمئة (٠/٠١)، ومحور الصلوات على النبيّ صلى الله عليه وآله وآله الطّاهرين بتردّد (٠/٠/٢).

فنقوم بتبويب الفصل الأول الذي استفدناه من كتاب ((نيايش در عرفات)) لآية الله العظمي صافي گلپايگاني (١٣٧١: ١٠٣-١٦) ونتابع الفصل الثاني في فرصة أخرى.

يبتدئ الجزء الأول بحمد الله وثنائه وبعد ذكر ستّ عشرة من الصفات المختصّة بالله تعالى تنتهي إلى هذه الفقرات الخمس: (فَلَا إِلَهَ غَيرُهُ وَلَا شَيءَ يعْدِلُهُ وَلَيسَ كمِثْلِه شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، وَهُوَ على كلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.)

يبتدئ الجزء الثاني من عبارة ((اللهُمَّ إِنِّي أَرْغَبُ)) وتطرح فيه أمور نحو: ربوبية الحق؛ الرّجوع إليه؛ الشكر والثناء لله تعالى؛ القضايا المهمّة من مختلف العلوم؛ سير خلقة الإنسان؛ عجائب عالم الخلق؛ النعم الإلهية الكثيرة و وجوب الشكر لها، غناء الحقّ نسبة إلى أيّ طاعة وعبادة؛ والتعبير عن بعض الصفات الثبوتية والسلبية لله تعالى.

يبتدئ الجزء الثالث من ((اللهُمَّ اجْعَلْنِي أَخْشَاكَ)) ويشتمل على مطالبة أمور مثل كمال النفس؛ الحصول على المعرفة؛ التقرّب إلى الله؛ وطلب كلّ ما يؤثر في ترقية الانسان ورشده، من الله تعالى.

يبتدئ الجزء الرابع من ((اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كمَا خَلَقْتَنِي)) وضمن الشكر لله بسبب نعمة الوجود، يقوم الإمام عليه السلام بتذكر التربية الربوبية قبال نفسه؛ إظهار افتقاره إلى ربّه؛ الاستعانة منه أمام الشدائد؛ الشكوي من الغربة والوحدة إلى ربه؛ وطلب الموت السعيد منه.

يبتدئ الجزء الخامس من ((لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ رَبُّ الْبَلَدِ الْحَرَامِ)). يهتم الإمام عليه السلام في هذا الجزء بإقراره حول أحدية ربه وتعظيمه؛ ثناء ربه؛ إغاثات الله قبال عباده المقربين؛ ذكر صفاته؛ الإشارة إلى الأدعية المستجابة والبلايا المدفوعة؛ وعدم إمكان إحصاء النعم الإلهية.

يبتدئ الجزء السادس من ((يا مَوْلَايَ أَنْتَ الَّذِي أَنْعَمْتَ)) وفي ذلك يعترف الإمام عليه السلام بعمله السيئ أمام ربّه مع التعبير عن بعض الشؤون المتعلّقة إلى ربوبية الحقّ، وأحوالٍ من حاجة العبد وفقره إليه، ونعمة الحق لعبده، ثمّ ينسب إلى الله تعالى التوفيق لأعمال الخير جميعها ويرجوه أن يعامله بفضله ولا بعدله.

في الجزء السابع يقوم الإمام عليه السلام مع تكرار ذكر((لَا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ)) والإقرار بوحدانية الله، بالتعبير عن أحوال مختلفة، مثل الاستغفار، الخوف، الرجاء والرّغبة ويقوم بتنزيه ربّه، ثم إحياء ذكرى نعماته التي لا حدود لها ويسأل من الله تعالى أن يستمر فيها ويساعده على التقوي والعبودية.

يبتدئ الجزء الثامن من ((اللهُمَّ إِنَّك تُجِيبُ دَعْوَه الْمُضْطَرِّ)) وفي ذلك، الحديث عن ثناء ربّه وصفاته الجمالية في ما يتعلق بالعباد وإظهار البؤس والتضرّع، وينتهي بالصلوات على خاتم الأنبياء وتعريف صفاته وأهله، واستجابة حاجاته.

يبتدئ الجزء التّاسع من ((اللهُمَّ وَفِّقْنَا وَسَدِّدْنَا وَاعْصِمْنَا)) وفي ذلك يتوجّه الإمام عليه السلام إلى طلب الطهارة والمثابرة في سبيل الله، وبيان الصفات الجلالية والجمالية وينتهي بطلب الرزق الحلال، والعافية في الدين والبدن، والأمان من الخوف و النار، والصيانة من الخداع والاستدراج، وشرّ الفسّاق من الإنس والجنّ.

ينشئُ الإمام عليه السلام الجزء العاشر من الدعاء وهو يبكي ويرفع رأسه إلى السماء. ويسوق كلامه إلى توحيد ربّه بسؤال حاجة إن استجيبت، فليس رفض الحاجات الأخرى ضاراً، وإن رُفضت لا تنفع إجابة الأخرى، أي الخلاص من النار. ثم يرفع صوته بذكر ((يا ربّ)).

التناص القرآني في دعاء يوم عرفه:

قد تكشّف لنا بكلّ وضوح، أنّ القرآن الكريم قد امتزج بعقل و وجدان وقلب الإمام الحسين عليه السلام. والدليل هو ما نجده من حضور العبارات ومفاهيم القرآن في أجزاء دعاء عرفة فإنها مشبعة بفكر الإمام وروحه إلى درجة يمكن القول فيها أنّ هذا الدّعاء كأنّه قرآن أعيد صياغته على هيئة دعاء. فلا عجب أن يقتبس الإمام عليه السلام -وهو ابن القرآن- بعضاً من مفرداته، أو تراكيبه، أو آياته، أو معانيه، حتى صار البناء القرآني شكلاً أدائياً شائعاً في عباراته. فلابدّ من هذه الملاحظة أنّ استلهام الإمام الحسين عليه السلام للقرآن الكريم في دعاء عرفة ليس اقتباس لنصّ من التراث، بل هو كعملية تفجير لطاقات كامنة في هذا النصّ و قراءة الإمام للقرآن و تفاعله معه تجعل نصوص القرآن حية نابضةً في الضمائر باستمرار.

وأمّا هذا الاستلهام فهي بطرق شتّي من خلال توظيف المعاني والدّلالات، والاشارات ولم يكن استحضاراً شكلياً فقط. فهو تارةً يستوحي مضمون الآية أو فكرتها الأساسية وتارةً يستدعي بعض المفردات والتراكيب القرآنية. فيمكن أن يكون هذا الاقتباس والاستشهاد بشكل صريح وأحياناً بشكل خفيّ. فهذه الدراسة تندرج في اتّجاهين: تناص مباشر وتناص غيرمباشر في القرآن الكريم. وفي هذا المقال، نحن اخترنا الجزء الأول من الفصل الأول الذي ركز على محور التوحيد وصفات الله تعالى.

التناصّ المباشر في الدعاء:

فهو كما قلنا اجتزاء قطعة من نصّ وإدخالها في نصّ آخر مع تمهيد لها يتناسب المراد عند المؤلف. وفي التناص القرآني يهدف المؤلف من هذا الإجتزاء، تزيين كلامه وتحكيم اسلوبه بأسلوب القرآن. نذكر نماذج من هذا التناص في الجزء الأول للفصل الأول من دعاء الإمام عليه السلام:

١. يبدأ الإمام عليه السلام دعائه بحمد الله تعالى ويقول: ((الحمد لله الّذي ...))، فيصرّح بأن الحمد (جنسَه)، يختصّ بالله تعالى ويعلم من بيان صفاتٍ بعده أنّ كلمة ((الله)) اسمٌ لذاته المقدّس يتّصف بصفات الكمال تامّاً، وليس لهذا الإسم مسمّي غير ذاته تعالى، والصفات التي جاءت بعدها لا تليق ولا تختصّ الّا به (صافي گلپايگاني،١٣٧١ش:٤٣) و((الحمد)) هو اجتماع المدح والشكر. فالإنسان يمدح الجمال والكمال ويشكر النعمة والخدمة وإحسان الآخرين، والله يستحق المدح بسبب كماله وجماله ويستحق الشكر من أجل إحسانه ونعماته. (قرائتي،١٣٨٣: ١/ ٢٧).

والإمام عليه السلام يفتح كلامه بثناء ربّه، كما ذُكر من آداب الدّعاء أن يفتتح بذكر الله والثناء عليه والصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وآله عليه السلام. روي عن أبي عبدالله عليه السلام: ((إياكم أن يسأل أحدكم ربّه شيئاً من حوائج الدّنيا والأخرة، حتى يبدأ بالثّناء على الله، والمدحة له والصّلاة على النّبيّ وآله والإعتراف بالذّنب ثمّ المسألة.)) (علامة المجلسي،٩٣:١٤٠٤/٣١٤) نلاحظ أنّ الإمام عليه السلام قد استحضر في كلامه هذا، آياتٍ من القرآن الكريم اختصّت ((الحمدَ)) لله تعالى؛ منها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ...﴾ (الانعام/١) و ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ...﴾ (الكهف/١). فهناك تناصٌّ مباشرٌ بين النصّ القرآني وكلام الإمام عليه السلام وهو لاتّكائه على صيغة قرآنية دون تغيير في اللفظ والمعنى؛ وتكون العلاقة بينهما من نوع النّفي الجزئي.

٢. وفي فقرة نهائية من هذا الجزء، يقول الإمام عليه السلام: ((فلا إله غيره ولا شيء يعدله وليس كمثله شيء، وهو السّميع البصير، اللطيف الخبير، هو على كلّ شيء قدير.)) إن الإمام(ع) يشير إلى الصفات الذاتية لله تعالى، بأنّه لا إله غيره ولا شيء مثيله، فعبارة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ في الحقيقة هو الأساس الرّئيسي لمعرفة صفات الله تعالى كلّها، الّذي دون ملاحظته لا يمكن التعرّف على هذه الصفات، لأنّ أخطر المزالق أمام السّالكين هو مزلق التشبيه... بعبارة أخرى، هو وجود لا نهاية له من أيّ جهة وغير محدود بالنسبة إلى الآخرين. (مكارم شيرازي و الآخرون،٢٠:١٣٨٠/٣٦٢) ويتابع ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ يعني أنّه يسمع ويعلم

الحاجات والمسألات التي يطلب الخلق منه، ويشاهد أعمالهم كلها. و((السميع)) هو مَن كان على صفة يجب لأجلها أن يسمع المسموعات إذا وُجدت، و((البصير)) من كان على صفة يجب لأجلها أن يبصر المبصرات إذا وُجدت. فهما يختلفان معني السامع والمبصر، لأن السامع هو المدرك للمسموعات؛ والمبصر هو المدرك للمبصرات. ولهذا يوصَف القديم فيما لم يزل بأنه سميع بصير (الطبرسي، ٣:١٤١٥/١٢-١١)، و((اللطيف)) يعني أنه هو الدقيق النافذ في الشيء، والذي اجتمع له الرفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح. وقد يعبّر باللّطائف عمّا لا تدركه الحاسّة ويصحّ أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وأن يكون لمعرفته بدقائق الأمور، وأن يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم (راغب اصفهاني،١٤١٩: ٥٨٠) و((الخبير)) يعني أنّه يخبر الشيء بعلمه ويعرفه على حقيقته، و((هو على كل شيء قدير)) يعني أنّه تعالى بكلّ شيء محيط وتصدر الأفعال على مشيئته واختياره وهو قادر إذا شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل. (ينظر: فرج، ٢٨:١٤٣٣)

ففي الواقع أنّ هذه العبارات الختامية في الجزء الأول من الدّعاء هي ناجمة عن الصفات التي ذُكرت في جملات الإمام السّابقة. يعني أنّ من كان صاحب تلك الصفات فليس له مثيلٌ ولا إله غيره و... . (صافي گلپايگاني،٦٤:١٣٧١)

من الواضح أنّ في العبارات المذكورة تناص مباشرٌ مع هذه الآيات الشّريفة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى/١١) و ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام/١٠٣) وأيضاً ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك/١٤) و ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (الطّلاق/١٢) وكما نلاحظ أنّ العلاقة بين النصّين من نوع النفي الجزئي. فقبل الإمام عليه السلام النصّ الغائب في النصّ الحاضر دون تغيير في اللفظ و المعني.

التناصّ غير المباشر في الدعاء:

هذا التناص يدرك ويعرف من النصّ ولو أشار به الأديب بإشارة وجيزة وهو يظهر بمقدرة الأديب في استخدام واشتقاق الألفاظ الحديثة بدل الفاظ النصّ الغائب مع تلائم وتناسب به.

يتابع الامام عليه السلام كلامه بعد حمد ربّه: ((الحمد للّه الّذي ليس لقضائه دافع.)) القضاء فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً. (راغب اصفهاني، ١٤١٩: ٥٢٥) ولقد جاءت مادّة ((قضاء)) في القرآن الكريم إلى معانٍ متعدّدة؛ منها: ١. الإرادة والمشيئة الإلهية؛ نحو: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. (البقره/ ١١٧) ٢. الإتمام والإكمال؛ نحو: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ (القصص/٢٩) يعني فلمّا أتمّ. ٣. بمعنى فعل؛ نحو: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ (طه/٧٢) يعني فافعل ما أنت فاعله. ٤. بمعنى حكم؛ نحو: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ (غافر/٢٠) ٥. بمعنى اعلام؛ نحو: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الإسراء/٤) يعني اعلمناهم. ٦. بمعنى أمر؛ نحو: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (الإسراء/٢٣) يعني أمرَ. ٧. بمعنى خلق وصنع؛ نحو: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ (فصّلت/١٢). (طيب، ١٣٧٨:٢/١٦٥) ويبدو أنّ الإمام عليه السلام أراد المعني الأول لكلامه هذا. فهو يحمد الله الذي لا يحول أمام تنفيذ قضائه مانع ولا يقف في مسير مشيئته حائلٌ ولا يمكن لأيّ مخلٍّ حتى يعطّل نفوذَ إرادته. كما يقول الإمام علي عليه السلام: ((عرفتُ الله سبحانه بفسخ العزائم وحلّ العقود ونقض الهمم)). (نهج البلاغة، ١٣٨٨، حكمت٢٥٠: ٤٨٦) فنلاحظ أنه عليه السلام قد استلهم مضمون هذه العبارة القرآنية لتصديق كلامه وتحكيمه: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. (البقرة/١١٧وآل عمران/٤٧ والأنعام/٧٣ و...). وقد استساغ مضمون الآية ولكن أظهره في كلمات أخرى تختلف عن الفاظها.

ثمّ يتابع: ((ولا لعطائه مانع.)) يعني (الحمد لله الذي) ليس لجوده وكرمه مانع يحول دون وصوله إلى مخلوقاته ولا يمكن لأحد في العالم أن يمنع أمام النعم والأرزاق التي يعطيها الله لعباده. وفي الواقع أنّ هذه الصّفة مع الصّفة السابقة كلاهما يرجع إلى قدرة الله تعالى بأنّ كلّ شيء يكون تحت هيمنة اقتداره تعالى. (صافي گلپايگاني، ١٣٧١:٤٨) فيقول الله تعالى في هذا المعني: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ (فاطر/٢) ويقول أيضاً: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (يونس/١٠٧)؛ يعني هو الذي إن يردك بخيرٍ لم يرد أحدٌ ما يريده لك من فضله وإحسانه. فمن الواضح أنّ الأمام عليه السلام قد استخدم بمقدرته الكلامية ألفاظاً دون الألفاظ القرآنية متلائمة بمضمونها وأقام تفاعلاً واعياً بين النصّين وقد أثبت قدرته على الفهم العميق للقرآن الكريم.

وبعده يقول الإمام عليه السلام: ((ولا كصنعه صنع صانع.)) ((صانع)) من صنع بمعنى الخلق وإجادة الفعل، فكلّ صُنع فعلٌ، وليس كل فعل صنعاً ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل (راغب اصفهاني،١٤١٩: ٣٧٥) ويقول الله تعالى في هذا المعني: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾. (النمل/٨٨) فبالطبع يمكن الخلق للآخرين أيضاً بإذن الله تعالى ولكن الخلق عندهم مصحوب بالنقصان والفطور ولا يقاسُ صنعهم بصنع ربّهم.كما جاء في القرآن الكريم: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ (الملك/٣)؛ وأيضاً كلامه عليه السلام ترجمان هذه الآية الشريفة: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون/١٤) فالعبارة عند الإمام عليه السلام تعني: الحمد لله الذي لا يقاس صنعه وخلقه بصنع وخلق غيره وليس في خلقه أي فطور ونقصان وهو أحسن الخالقين. فنلمس صدي الآيات المذكورة في كلام الإمام عليه السلام وكأنه قد قام بالتّلاؤم بين النصّ الغائب والنصّ الحاضر وأنشأ بينهما نوعاً من التفاعل الواعي من حيث المعني دون لفظ.

ثم يقول: ((وهو الجواد الواسع.)) ((الجواد)) من جود بمعنى العطاء، فالجواد يعني أنّه كثير العطاء وذو السخاء، سواء طُلب منه أم لم يطلب منه. قال الإمام صادق عليه السلام في دعاء شهر رجب: ((يا من يعطي من سأله ويا من يعطي من لم يسأله ولم يعرفه تحنّناً منه ورحمة)) (قمي،١٣٧٧:٢٢٨) فهو الذي يعطي كثيراً ولا يخاف نفاد ما عنده. وأمّا ((الواسع)) فمن السعة. والسعة تقال في الأمكنة؛ وفي الحال؛ وفي الفعل، كالقدرة والجود ونحو ذلك. والوسع من القدرة مثل ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة/٢٦١و ٢٦٨)؛ والوسع في المكان مثل ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ (العنكبوت/ ٥٦)؛ وفي الحال مثل ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾. (الطلاق/٧) و((الله واسع)) عند الإمام عليه السلام أي: واسع القدرة لا يضيق عنه ما شاء من الزّيادة؛ أو واسع الرّحمة لا يضيق من المضاعفة (الطبرسي،١٤١٥:٢/١٨٠) فنلاحظ أن الإمام عليه السلام قد استوحي كلامه من الآيات الكريمة وبهذه الآيات أعطاه بهاءً متزايداً كأنّ مضامينها مشبعة بفكر الإمام عليه السلام وممتزجة بروحه ولكنه قد قام بإعادة صياغتها من جديد.

ويتابع: ((فطر أجناس البدائع.)) ((فطر)) يعني أوجدَه ابتداءً والفاطر بمعنى المبدع. و((البدائع)) جمع البديع، تُطلق على مخلوقات خُلقت بيد قدرة الله تعالى دون أيّ نظام

وخطّة مسبقة. (صافي گلپايگاني، ١٣٧١:٥١) فكلام الإمام عليه السلام يعني أنّه تعالى ابتدأ خلق أصناف وأنواع المخلوقات مبتكراً، دون أيّ نموذج. كما يقول تعالى: (قل الّذي فطَرَكم أوّل مرّة) (الإسراء/٥١) و(إنّي وجّهت وجهي للّذي فطرَ السّماوات والأرض حنيفاً). (الأنعام/٧٩) فنلاحظ أنّ الإمام عليه السلام قد اقتبس هذا المفهوم من القرآن وكلامه يعيد إلى الأذهان هذه المضامين القرآنية.

ثمّ يقول: ((وأتقن بحكمته صنائع.)) يعني أتقن وأحكم بحكمته صنع المخلوقات وخلق كلّ شيء على وجه الاتّساق والاستحكام. فإتقان الصّنع واستحكامه من علامات علم الصانع وحكمته (صافي گلپايگاني، ١٣٧١:٥٢) قال سبحانه: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾. (النمل/ ٨٨)

وبعده يصف الإمام عليه السلام ربّه بهذه الصّفة: ((لا تخفي عليه الطّلائع.)) ((الطّلائع)) جمع الطليعة من الجيش ونحوه أول ما يطلع ومقدمته. (المعجم الوسيط،١٣٩٢: ماده طلع) وقيل: الطّلائع هم الذين يبعثون ليطّلعوا طلع العدو كالجواسيس. فهؤلاء إن يختفوا عن العدوّ لا يمكن لهم الإختفاء عن الله. قال الله تعالى: ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾. (آل عمران/٥) فالإمام عليه السلام يستحضر بكلامه هذه المفاهيم القرآنية: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ (النساء/١٠٨) و ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾. (النساء/ ١٢٦) يعني لم يزل سبحانه عالماً بجميع ما يفعله عباده، ومعني المحيط بالشيء أنه العالم به من جميع وجوهه. (الطبرسي،٣:١٤١٥/٢٠١) فنلاحظ أنّ الإمام عليه السلام تلقّي مضمون هذه العبارات كلّها على وجه التحديد من الآيات القرآنية، ولكنه أجرى بعض التغييرات اللفظية في البنية الصرفية و النحوية و أقامت تلاؤماً بين النص الحاضر والنصّ الغائب، بحيث تمّ قبولُ النص القرآني في كلامه.

ويتابع: ((ولا تضيع عنده الودائع.)) ((الودائع)) جمع الوديعة، وهي ما استودع (المعجم الوسيط، ١٣٩٢: ماده ودع) فعندالله سبحانه لا تضيع الودائع التي استودعها العبد، كما يأمر العباد أيضاً إلى تأدية الأمانات إلى أهلها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (النساء/٥٨) وهذه الودائع يمكن أن تكون الأعمال الصّالحة لأنها ستبقي له بعد

الموت، كما يقول سبحانه: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف/٤٦) فالباقيات الصالحات هي الطاعات لله تعالى، وجميع الحسنات، لأنّ ثوابها تبقي أبداً (طبرسي،٦:١٤١٥/٣٥٠) ويمكن أن يكون أمور أخرى. على أي حالٍ تبقي الأعمال وآثارها من الثواب والعقاب عندالله أمانةً ولا يظلم أحدٌ شيئاً ولا ينقص من إحسان محسنٍ ولا يضاف إلى إساءة مسيء،كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا...﴾. (الأنبياء/ ٤٧) فالإمام عليه السلام لقد استحضر في كلامه تلك الآيات الكريمة مستغلاً مغزاها حتى يعطي كلامه ثقلاً أدبياً ورونقاً متزايداً، لكن أجري تغييرات في الألفاظ مع تلائم في المعني.

وأيضاً يصف ربّه بأنّه ((جازي كلّ صانع و رائش كلّ قانع.)) ((صانع)) من صنَع صُنعاً والصّنعُ إجادة الفعل، فكلّ صنعٍ فعلٌ وليس كلّ فعل صنعاً، ولا ينسبُ إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل (راغب اصفهاني،١٤١٩: ٣٧٥) و((رائش)) من راش ريشاً (فلاناً): قواه وأعانه وأصلح حاله ويقال راشه الله أنعشَه وراشه الله مالاً أعطاه إياه (المعجم الوسيط،١٣٩٢: ماده راش) و((قانع)) من قنع قناعة و قنعاناً: إذا رضي؛ وقنع قنوعاً: إذا سأل. قال تعالى: ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ (الحج/٣٦) وقال بعضهم: ((القانع)) هو السّائل الّذي لا يلحّ في السؤال، و يرضي بما يأتيه عفواً (راغب اصفهاني،١٤١٩: ٥٣٤) فيقول الإمام عليه السلام: إنّه يكافيء ويجازي كلّ عامل من ذكر وأنثي؛ كأنّ كلامه صدي هذه الآية في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (النساء/١٢٤) يعني انّه لا يبخسهم شيئاً ممّا يستحقّونه من الثّواب، وإن كان مقدار نقير في الصّغر (الطبرسي، ٣:١٤١٥/١٩٨) ويقول عليه السلام أيضاً: إنّه تعالى هو الذي يجود بالمال والخصب والمعاش واللباس على كلّ انسان قانع برزقه وحظّه في الدنيا؛ فكأنه يردّد مضمون الآيات هذه: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة/١٧٢)؛ أو ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ (الذاريات/٢٢)؛ أو ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ﴾ (الذاريات/٥٨) ويقنع العباد أنّ الجزاء والرزّق بيد الله تعالى، وعليهم أن يثقوا إلى ربّهم ولا غير. فالتناصّ هنا واضحٌ مع الآيات القرآنية منذ القراءة الأولى وقد فجر الإمام عليه السلام من النص القرآني، الدلالة التي تتّفق وسياقَه

الإعتقادي ليثبت وجود الترابط الماورائي بينه وبين القرآن الكريم الذي لا ينحصر إلى الشكل والظاهر فحسب بل يتعلق إلى الباطن والوجدان.

ثمّ يصف ربّه العظيم بهذه الصفات: ((و راحم كلّ ضارع.)) ((راحم)) من رحِم رحمةً: رقّة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرّقة المجرّدة، وتارة في الإحسان المجرّد عن الرّقّة. وإذا وُصف به البارئ فليس يراد به إلّا الإحسان المجرّد دون الرّقّة، وعلي هذا روي أنّ الرّحمة من الله إنعام و إفضال، ومن الآدميين رقّة وتعطّف. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة/١٨٢) وقيل: إن الله تعالى هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، وذلك أنّ إحسانه في الدنيا يعمّ المؤمنين والكافرين، وفي الآخرة يختصّ بالمؤمنين، وعلي هذا قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف/١٥٦) (راغب اصفهاني، ١٤١٩:٢٥٤)؛ وضرَع الرّجل ضراعة: ضعُف وذلّ، فهو ضارعٌ وضرعٌ، وتضرّع: أظهر الضراعةَ (نفس المصدر:٣٨٥) كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (الأعراف/ ٥٥)؛ فمعنى كلام الإمام عليه السلام: وهو الذي يرحم كلّ متضرّع ومبتهل إليه تعالى في ذلّ وخضوع أو هوالذي يرحم كلّ ضعيف وعاجز ويحسن إليه.

((ومنزل المنافع.)) وهو سبحانه منزل ومعطي المنافع على خلقه كالأنعام ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (النحل/٥) والحديد ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد/٢٥) وموسم الحج بكلّ فوائده المادية والمعنوية ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ (الحج/٢٨) ومنافع أخر من الحمل، والركوب وإثارة الأرض، والزرع والنسل (الطبرسي، ١٤١٥/١٤٠:٦) وأيضاً يمكن أن يكون المقصود من المنافع: التجارات، وقيل التجارة في الدنيا، والأجر والثواب في الآخرة، وقيل هي منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة. (نفس المصدر:١٤٦/٧)

((والكتاب الجامع.)) مقصود الإمام عليه السلام من هذا التعبير هو القرآن الكريم؛ فيقول: إنّه سبحانه منزل القرآن الكريم الجامع تفصيلاً لكلّ شيء. قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل/٨٩) وقال الإمام الصادق عليه السلام: ((إنّ الله

تبارك وتعالي أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج العباد إليه حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا انزل في القرآن الّا وقد أنزله فيه)) (الكليني،١٣٨٧:١،كتاب العلم/٥٩) أي أنزل بياناً لكلّ أمر مشكل وكل شيء يحتاج إليه من أمور الشرائع وغيرها.

((بالنور السّاطع.)) ((ساطع)) من سطع (سطعاً وسطوعاً): انتشر أوارتفع (المعجم الوسيط، ١٣٩٢: ماده سطع) لقد اقتبس الإمام عليه السلام هذا المعني من كلام الله تعالى واستشهد به وشبّه القرآن الكريم بالنور الذي ينتشر ويرتفع إلى العلي لأنّه يهدي الانسان من الضلالة وينجيه من العذاب كالنور الذي يتّسع وينير أمامه ويمنع السقوط والعثار. جاء في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾. (النساء/١٧٤) فـ﴿نُورًا مُبِينًا﴾ يعني نوراً ظاهراً مع الدّلائل الزّاهرة والحجج اللّائحة الّذي يقتضي الإيمان به ولا يبقي أي تبرير وتعليل لرفضه، ويعني أنّه يبين لكم الحجّة الواضحة، ويهديكم إلى ما فيه النجاة لكم من عذابه وأليم عقابه. (الطبرسي، ٢٥٢/١٤١٥:٣)

((وهو للدّعوات سامع.)) ((سامع)) من سمع؛ فيعبَّر تارةً بالسّمع عن الأذن وتارةً عن فعله كالسّماع وتارةً عن الفهم وتارةً عن الطّاعة ولكن إذا وصفت الله بالسمع فالمراد به علمه بالمسموعات، وتحريه بالمجازات بها، نحو: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ (آل عمران/١٨١) (ينظر: راغب اصفهاني، ١٤١٩: ٣١٩)؛ فقول الإمام عليه السلام يعني أنّه تعالى يعلم دعاء السائل واستغاثة الملهوف ويجيب دعوة الدّاعي إذا يطلبه. ولا يقتصرسمع الله على آلة حتى يعتمد إلى شروط أو يكون البعد في الزمان والمكان مؤثّراً في سمعه أو عدمه. (صافي گلپايگاني،١٣٧١:٥٧) وإجابة الدّاعي هنا بمعنى القطع بما دعا. فهذا يحضر النص القرآني إلى ذاكرة المخاطب، كأنّه قد استحضر هذه الآية الشريفة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة/ ١٨٦) وأيضاً: ﴿قَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر/٦٠) ولكن بألفاظ تختلف ألفاظ القرآن مع استخدام صيغة أخرى في الكلام.

((وللكربات دافع.)) ((الكربات)) جمع الكربة وهي الشّدائد والهموم الشديدة. قال تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (الأنبياء/٧٦) و((دافع)) من دفع أي: أبعد وكشف.

فيقول الإمام عليه السلام: إنّه هو الذي يدفع ويكشف الشدائد والأحزان. قال سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النّمل/٦٢) أي هو يجيب المكروب المجهود، فيكشف ضرّه وكربه، وإجابة دعاء المضطرّ هي فِعل ما يدعو به، وهذا لا يكون الّا من قادر على الإجابة، مختار لها. ورأس المضطرّين المذنب الذي يدعوه ويسأله المغفرة، ومنهم الخائف الذي يسأله الأمن، والمريض الذي يطلب العافية، والمحبوس الذي يطلب الخلاص، فإن الكلّ إذا ضاق بهم الأمر، فزعوا إلى رب العالمين... .(الطبرسي، ٧: ١٤١٥/٣٩٦)

((وللدّرجات رافع.)) فهو تعالى رافع الدرجات سواء في مواهب دنيوية ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ (الزخرف/٣٢) أي: أفقرنا البعض وأغنينا البعض، فتلقي ضعيف الحيلة عييّ اللّسان وهو مبسوط له، وتلقي شديد الحيلة بسيط اللّسان وهو مقتر عليه (الطبرسي، ٩: ١٤١٥/٧٩) أو عطاياه المعنوية ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة/١١)؛ حتى على مستوي الأنبياء حيث ﴿رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾. (البقرة/٢٥٣) فتفوّقُ بعض البشر على الآخرين نوعان: ١- التفوق في البنية المادية والفكرية والمواهب، الّذي يوجب افتقار وخدمة بعضهم بعضاً وعلي تلوه يتكوّن المجتمع. فإن البشر ليس لديه دورٌ في هذا التفوّق.٢. التفوّق الّذي يمنحه الله للبشر على ما سعي. (قرائتي، ٨: ١٣٨٣/٤٥١)

((وللجبابرة قامع.)) ((الجبابرة)) من جبر، ومفرده جبّار. والجبار هو المتكبر والقاهر العاتي المتسلّط (المعجم الوسيط،١٣٩٢، مادة جبر) و((قامع)) من قمع (فلاناً): ضرب أعلي رأسه ومنَعه عمّا يريد وقَهَره وذلّله. (نفس المصدر: ماده قمع) فقامع يعني قاهر ومذلّ. يقول الإمام عليه السلام: إنّه يقهر المتكبرين الذين يتسلّطون على العباد ويستضعفونهم، فيهلكهم بذنوبهم ويمنعهم عما يقصدون. جاء في القرآن الكريم: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام/١٨)؛ و ورد في مواضع عديدة في القرآن عاقبة الظالمين والجبابرة؛ فمنها في أحوال قوم عاد وثمود وفرعون، قال الله تعالى: ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر/١٤- ١٢)؛ يعني أنّهم أكثروا القتل والمعصية فجعل

سوطه الذي ضربهم به العذاب والله على طريق العباد فلا يفوته أحدٌ أو إنه لا يفوته شيء من أعمالهم. (ينظر: طبرسي،١٠:١٤١٥/٣٥١)؛ أو بعد ذكر قوم ثمود وقصته قال سبحانه: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾. (الشمس/١٥)

فنلاحظ في بيان هذه الصفات كلها من جانب الإمام الحسين عليه السلام نوع من الإمتزاج والإتحاد بين فكره وعقيدته وشعوره بالآيات الشريفة القرآنية؛ فإنه عليه السلام استلهم مغزاة الآيات وفكرتها، واستشهد بها واعياً، ثمّ أعادها إلى صياغة جديدة في دعائه، بشكل الامتصاص واستفاد من اسلوب القرآن الذي هو الأسلوب الأمثل حتى يعطي كلامه جمالاً واستحكاماً أكثر فأكثر. فمعني كلامه وآيات القرآن متّفقين في اتّجاه واحد لكن باختلاف في بعض الألفاظ والصياغ. فيمكن القول أن هناك في هذه العبارات كلّها تناصّاً غير مباشر في النصّين والعلاقة فيهما من نوع النفي المتوازي.

النتيجة:ـ

في النهاية نتوصل إلى هذه النتائج:

نظرية التناص من إفرازات النقد الأدبي الجديد في الغرب ولكن لها جذور في النقد العربي القديم. وهي تعني قراءة لنصوص سابقة وتأويل لهذه النصوص، وإعادتها بأساليب عديدة إلى نصّ جديد بحيث أن يتضمن هذا النص الجديد زيادة في المعني عن المفاهيم السابقة التي تُعتبر نواة له.

وهدف التناصّ هو كشف وإدراج التّراث في النصّ والرّجع إلى نصوص تراثية بالتجاوب معها واعادة استنطاقها خلال الوعي التراثي في نسيج جديد. فهدف التناص القرآني كشف وإظهار المضامين الدّينية والاعتقادية الإلهية في النص واتخاذ العبر وتحكيم وترقية الأسلوب الكتابي بأسلوب القرآن.

وأمّا عن التناصّ القرآني في دعاء الامام حسين عليه السلام يوم عرفة قد تبين لنا أنّ القرآن الكريم قد امتزج بوجود الامام الحسين عليه السلام تماماً. ولذلك نجد حضور العبارات والمفاهيم القرآنية في أجزاء دعاء عرفة كأنّه قرآن أعيد صياغته على هيئة دعاء. وهذه الاستلهامات من جانب الامام عليه السلام فهي بطرق مختلفة وكلّها بوعي من جانبه. فهو تارةً يستوحي مضمون الآية

وتارةً يستدعي بعض المفردات والتراكيب القرآنية، مع التوافق والتلاؤم بين السّياق القرآني والسياق الكلامي عنده.

كان الإمام عليه السلام قد حافظ على الدّلالة الأصلية للنّصوص القرآنية التي استحضرها، وقليل من تلك الدّلالات، قد اتّخذت مساراً خاصّاً لديه.

وأخيرا أن التناصّ القرآني في الجزء الأول من الفصل الأول لهذا الدعاء، يكون على الأغلبية (أكثر من ٠/٧٥) بشكل التناص غير المباشر مع العلاقة من نوع النفي المتوازي و في قليل من المواضع من نوع التناص المباشر والعلاقة فيها من نوع النفي الجزئي.

هوامش البحث

(1) Julia Kristeva
(2) Intertextuality
(3) De Saussure
(4) Mikhail Bakhtin
(5) Tel Quell
(6) Critique
(7) Semeiotic
(8). Laurent jenny

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

- نهج البلاغة. (١٣٨٨ش). ترجمة: محمد دشتي. الطبعة الأولى. قم: انتشارات امام همام.
- ابن رشيق القيرواني، ابوالحسن. (١٩٧٢م). قراضة الذّهب في أشعار العرب. تحقيق: الشاذلي بو يحيي، (د.ط). تونس: الشركة التونسية للتوزيع.
- ابن منظور، ابوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (١٩٨٨م). لسان العرب. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- اخوان مقدم، زهره و حبيب پور، زهرا. (١٣٩٦ش). ((تحليل محتواي دعاي عرفه منسوب به امام حسين عليه السلام)). معارف حسيني. سال دوم. شماره ٨. صص١١٥- ٩٩.

- أنجينو، مارك. (١٩٨٧م). في أصول الخطاب النقدي الجديد. ترجمة: أحمد المديني. (د.ط). بغداد: دار الشئون الثقافية العامة.
- پرويني، خليل وعموري، نعيم. (١٤٣١ق). ((التناص القرآني في رواية حكايات حارتنا لنجيب محفوظ)). آفاق الحضارة الاسلامية. آكاديمية العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية. السنة الثالثة العشرة. العدد الثاني. صص ١٦٢- ١٤٥.
- حافظ، صبري. (١٩٨٤م). ((التناص و إشاريات العمل الأدبي)). مجلّة ألف المصرية الصادرة عن الجامعة الأمريكية بالقاهرة. العدد الرّابع.
- حلبي، طعمةأحمد. (٢٠٠٧م). ((التناص الدّيني في شعر البياتي)). آفاق المعرفة. العدد ٥٢٥. سورية. صص٢٧٣-٢٦٥.
- حلبي، طعمة أحمد. (٢٠٠٧م). ((اشكال التناص الشعري، شعر البياتي نموذجاً)). مجلة الموقف الأدبي. العدد ٤٣٠. صص ٨٣-٦٠ .
- الراغب الإصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد. (١٤١٩ق). المفردات في غريب القرآن. (د.ط). رياض. مكتبة نزار مصطفي الباز.
- الزبيدي، محمد مرتضي. (١٩٧٩م). تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: عبد الكريم الغرباوي. ط١. الكويت. وزارة الأعلام.
- الزغبي، أحمد. (١٩٩٥م). التناصّ نظرياً وتطبيقاً. ط١. الأردن: مكتبة الكتاني إربد.
- الزّمخشري، ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي. (١٩٨٢م). أساس البلاغة. تحقيق عبد الرّحيم محمود. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.
- سلطان، منير. (٢٠٠٤م). التضمين والتناص وصف رسالة الغفران للعالم الآخر نموذجا. ط١. الاسكندرية: منشأة المعارف بالاسكندرية.
- سومفيل، ليون. (١٩٩٦م). التناصية والنقد الجديد. ترجمة: وائل بركات. السعودية. الجدة: ٢٣٦. (لانا)
- شبل محمد، عزّة. (٢٠٠٧م). علم لغة النصّ النظرية والتطبيق. تقديم: سليمان العطار. ط١. القاهرة: مكتبة الآداب.
- صافي گلپايگاني، لطف الله. (١٣٧١ش). نيايش در عرفات(شرحي بر دعاي عرفه امام حسين). (د.ط). قم. جامعه مدرسين حوزه علميه قم: دفتر انتشارات اسلامي.
- صمادي، وئاسة. (٢٠٠٣-٢٠٠٢م). التناص في رواية الجازية و الدراويش. بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث- تحت إشراف الدكتور الطيب بودر بالة. بجامعة العقيد الحاج لخضر باتنة.

- الطبرسي، ابو على الفضل بن الحسن. (١٤١٥ق). مجمع البيان في تفسير القرآن. ط١. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- طيب، سيد عبد الحسين. (١٣٧٨ش). اطيب البيان في تفسير القرآن. ط٢. تهران: انتشارات اسلام.
- عباسي، محمد زبير. (٢٠١٤م). التناص: مفهومه وخطر تطبيقه على القرآن الكريم. رسالة علمية مقدّمة لنيل درجة الدّكتوراة في قسم اللغة – تحت اشراف الدكتور مصطفي امام حسن. بالجامعة الاسلامية اسلام آباد- باكستان. كلية اللغة العربية.
- عبد الغني، مصطفي. (١٩٩٧م). خصوصية التناص في الرواية العربية (مجنون الحكم) نموذجاً تطبيقياً. مجلد ١٦. جزء ٤. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عزام، محمد. (٢٠٠١م). النصّ الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي. (د.ط). سوريا: اتحاد الكتاب العرب.
- عزام، محمد. (٢٠٠٥م). شعرية الخطاب السّردي. (د.ط). دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- عطاء، أحمد محمد. (٢٠٠٧م). التناص القرآني في شعر جمال الدين نباتة المصري. المؤتمر الدولي الرابع لكلية الألسن جامعة المنيا: آوريل.
- الغباري، عوض. (٢٠٠٣م). دراسات في أدب مصر الاسلامية. ط١. القاهرة: دار الثقافة العربية.
- الغذامي، محمد عبدالله. (١٩٨٥م). الخطيئة والتفكير. النادي الأدبي الثقافي. جدة: المملكة العربية السّعودية.
- فرج، حسام أحمد. (٢٠٠٣م). نظرية علم النصّ رؤية منهجية في بناء النصّ النثري. تقديم: سليمان عطار ومحمود فهمي حجازي. ط١. القاهرة: مكتبة الآداب.
- فرج، مرتضي. (١٤٣٣ق). شرح دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة. ط١. (لامك): شبكة الفكر.
- فيصل الأحمد، نهلة. (٢٠٠٣م). التفاعل النصّي (التناصية) النظرية والمنهج. ط١. السعودية: سلسلة كتاب الرياض.
- قائمي نيا، عليرضا. (١٣٨٩ش). بيولوژي نصّ. نشانه شناسي و تفسير قرآن. (د.ط). تهران: نشر پژوهش‌گاه فرهنگ و انديشه اسلامي.
- قرائتي، محسن. (١٣٨٣ش). تفسير نور. الطبعة الحادية عشرة. تهران: مركز فرهنگي درس هايي از قرآن.
- قمي، شيخ عباس. (١٣٧٧ش).كليات مفاتيح الجنان. الطبعة الثانية. تهران: انتشارات فرجام.
- الكليني، محمد بن يعقوب. (١٣٨٧ش). جامع الأحاديث، الكافي. ج.، (د.ط). قم: دار الحديث.

- مجلسي، محمد باقر. (١٤٠٤ق). بحار الأنوار. الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام. (د.ط). بيروت: مؤسسه الوفاء.
- مجموعة من المؤلفين. (١٣٩٢ق). المعجم الوسيط. (د.ط). قاهرة: دار الدّعوة.
- مسبوق، مهدي. (١٣٩٢ش). ((روابط بينامتني قرآن با خطبه هاي نهج البلاغه))، دو فصلنامه علمي- پژوهشي تحقيقات علوم قرآن و حديث دانشگاه الزهراء. السنة العاشرة. العدد ٢. صص٢٢٤-٢٠٥.
- مستوفي نيا، محمد رضا و محققيان، زهرا. (١٣٩٥ش). ((بينامتني قرآن كريم با صحيفه سجاديه)). دو فصلنامه علمي- پژوهشي پژوهش هاي زبان شناختي قرآن، السنة الخامسة، العدد الأول. صص ٣٦-٢١.
- مفتاح، محمد. (١٩٩٢م). تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناصّ. ط١. (لامك). المركز الثقافي العربي.
- مكارم شيرازي، ناصر؛ و جمع من الفضلاء. (١٣٨٠ش). تفسير نمونه. (د.ط) تهران: دار الكتب الاسلامية.
- موسى، ابراهيم نمر.(٢٠٠٨م). صوت التراث والهوية ((دراسة في التناص الشعبي في شعر توفيق زياد))، مجلة جامعة دمشق. ٢٤. العدد الاول + الثاني.
- الموسى، خليل. (٢٠٠٠م). قراءات في الشعر الحديث والمعاصر. (د.ط). سوريا. اتحاد الكتاب العرب.
- المولي الموسوي، كاظم عبد فريح. (٢٠٠٦م). الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة (دراسة اسلوبية). (لامك). (لانا).
- نامور مطلق، بهمن. (١٣٩٠ هـ). درآمدي بر بينامتنيت. تهران: انتشارات سخن.
- وعد الله، ليديا. (٢٠٠٥م). التناص المعرفي في شعر عزّالدين المناصره. ط١. (لامك): دار المندلاوي.
- الموقع الإنترنتي
- الموقع الرّسمي لقائد الثّورة الإسلامية في ايران، الإمام الخامنئي. (١٣٧٦/٩/١٣). ((الأبعاد المعنوية في شخصية الإمام الحسين عليه السلام)). www: http//Arabic.khamenei.ir